الشهيد إبراهيم محمد الحمدي، وقد تدخَّل الرئيس سالمين بقوة حتى اضطُرَّ الغشمي للإفراج عن الكبسي والاعتذار له حسب قوله..

وذلك بالطبع لم يكن موقف الكبسي وحده وإنما موقف الحكومة بصنعاء كاملة ولكن بحكم قرب والتصاق محافظة إب بمناطق الضالع وما جاورها من المناطق التي كانت ترزح تحت نير المستعمر البريطاني فقد كان الكبسي حلقة وصل بين حكومة صنعاء وثوار الجنوب وهو ما دفع حسين شرف الكبسي إلى مواصلة ذلك الدعم وإمداد المقاتلين من أبناء الجنوب بكل ما كانوا يحتاجونه من مؤن وأسلحة، إلا أن معظم تلك الأسلحة كانت تقتصر على النوع الخفيف لسهولة تهريبها وحملها عبر الحدود.

ويشير حسين شرف الكبسي إلى أنَّهم كانوا على تواصل مع معظم قيادات الكفاح المسلح من مناضلي الضالع أمثال علي عنتر وصالح مصلح وعلي شايع هادي، حيث التقوا مراراً على نقاط الحدود وتبادلوا الأحاديث وجلسوا مع بعض للتخطيط لما يمكن أنْ يقدمه أبناءُ المحافظات المجاورة لهم كتعز وإب والبيضاء من دعم وتبادل الخبرات والاستشارات. وأكد على أنَّ هذا التواصل ظلَّ قائماً حتى حصول الجلاء في الثلاثين من نوفمبر 1967م، وحينها كان حسين شرف الكبسي قائداً للواء "البيضاء" وهو ما دفعه إلى الاتصال بالقيادة بصنعاء والاستفسار منهم هل آن لنا أنْ نعترف بدولة جنوبية يمنية كما تم الإعلان عنها في عدن؟ فأفاده الذين في القيادة بأنَّ الوقت غير مناسب وأنَّهُ من الأفضل التريث في ذلك؛ فالشعب واحد ولا يمكن الاعتراف بدولتين أو قيامهما، وأنه لضرورات عسكرية قد يضطر ثوار ومناضلو وحكومة صنعاء في ظل الحصار الخانق الذي فرضته عليهم قوات الرجعية وفلول الإمامة بدعم من قوى خارجية قد يضطرون إلى الانسحاب عن صنعاء وما جاورها واتخاذ الجنوب عمقاً استراتيجياً للثورة اليمنية برمتها. وهو ما دفع الكبسي ومن إليه إلى النزول إلى مكيراس لمشاركة الأخوة في القيادة الجنوبية الاحتفال بيوم الجلاء والعودة دون نقاش لوضع ما بعد الجلاء.

وهذا كله يؤكد على واحدية الثورة اليمنية، كما يرسم صورة حقيقية للشعور الجماعي اليمني تجاه مختلف القضايا الوطنية والذي تجسد بشعور الجسد الواحد الذي إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

كما يوضح مدى العلاقة الحميمة التي كانت تربط مناضلي المناطق الشمالية بمناضلي المناطق الجنوبية الذين كان يعمل كُلٌّ منهم بجهة مختلفة وضد عدو مختلف إلا أنَّهم متفقون على الكفاح ووحدة المصير وواحدية الهدف والغاية، ما يدل على أنَّ ما حدثت بعد ذلك من محاولات لتوطيد ثقافة التشطير لحوالي ثلاثة عقود من الزمن لم تكن إلا بإيعاز ودعم من قوىً خارجية كانت ترى في وحدة اليمن خطراً يتهددها، الأمر الذي دفعها إلى بذل كل الجهود والأموال في سبيل نشر الفرقة بين قيادتي الشطرين وإيهام الجانبين بأنَّهُ لا خير للآخر إلا إذا ظل بعيداً أو في معزلٍ عن أخيه.. ولكن إرادة الله وتصميمَ الشعب اليمني الواحد الذي يكرهُ التمزق والتشطير طيلة الحقب الزمنية من عمره وعلى مر التاريخ؛ أَبَتْ إلَّا أنْ تعودَ المياهُ إلى مجراها وأنْ يعودَ الشعبُ اليمني إلى أصله كما كان واحداً موحداً إلى الأبد.

عدن الحضن الآمن

* ويمكننا في هذا الصدد أنْ نشيرَ إلى أنَّ عدن ظلت هي الحضن الدافئ والآمن الذي لجأ إليه معظم المناضلين والأحرار الذين نجوا بأنفسهم من سيوف الأئمة الجلادين وظلمهم واستبدادهم حيث كانت الواجهة الأولى التي تُيَمِّمُ إليها وجوهُ اليمنيين الذين يفرون من المناطق الشمالية خشيةً من سطوة الإمام وحاشيته الجلادين ممن استمرأوا القتل والتعذيب والتنكيل بالأبرياء وساموا المناضلين والأحرار ألوانا شتى من العذاب.

وهو ما يؤكد أنَّهُ لم يكن لثقافة التشطير أيَّ أساس في أذهان اليمنيين جميعاً، فمَنْ يهرب من ظلم المستعمر يتجهُ نحو الشمال ومَنْ يفر من جبروت الأئمة المستبدين يتجه صوب عدن، وحين تقوم الثورة بصنعاء يهب أبناء الجنوب بالآلاف للمشاركة فيها وبعدها يتم التخطيط من صنعاء لتحرير الجنوب اليمني المحتل وبدعم ومباركة من حكومة صنعاء.. وهكذا كان الوضع، ولولا تدخُّل القوى الخارجية والوضع المهترئ والموقف الحرج الذي كانت تمر به الثورة السبتمبرية وهي تواجه قوات الملكية والرجعية عام 1967م حين حصل الجلاء على الجنوب المحتل لتمتْ الوحدة بكل سهولة حينها ولما تأخرتْ إلى صبيحة الثاني والعشرين من مايو 1990م، حيث وقد كانت الوحدة اليمنية هي غاية الجميع وهي الشعار الوطني الذي ترفعه كل القوى والتنظيمات السياسية وتتبناهُ قيادتا الشطرين، مما يعني أنَّ الفترة من عام 1967م وحتى 1990م التي لم تتجاوز الـ23 عاماً هي فترة ظل يعيشها الشعب اليمني مشطراً سياسياً فقط، ولكن في ظل إرادة وطنية شاملة تؤمن تمام الإيمان بأنَّ الوحدة اليمنية قائمة في أوساطهم وبأنَّهُ لا بُد من تحقيقها على صعيد الواقع السياسي عن طريق الدمج الكامل لكافة المؤسسات الحكومية في كيان واحد اسمهُ (الجمهورية اليمنية).

دور المغتربين والطلاب

* ومن الصور الناصعة التي مهدت لثورة الرابع عشر من أكتوبر 1963 م وعكست التلاحم الوطني الكبير إزاء المستعمر الأجنبي ما لعبه المغتربون اليمنيون في الخارج على اختلاف مناطقهم سواء في دعم الأحرار المناوئين لحكم الإمامة الكهنوتي أو في دعم الحركات الوطنية التحررية ضد الاحتلال البريطاني، وهو ما بدا واضحاً منذ أربعينيات القرن العشرين حين أسهم المغتربون اليمنيون بشراء مطبعة للصحف والمنشورات كان مقرها عدن وكان لها دور كبير في طباعة الصحف اليمنية التي كانت اللبنة الاولى في نشر وبلورة الوعي الثوري في أوساط اليمنيين تجاه المستعمر الأجنبي ناهيك عما قامت به تلك الصحف من إقلاق وإزعاج للإمامة والمستعمر على السواء، حيث اتخذها أحرارُ الشمال وسيلةً قوية لإيصال أصواتهم للإمامَ من مدينة عدن التي كانوا هاربين فيها فيما اتخذها مناضلو الثورة الأكتوبرية وسيلة دعائية لها وزنها وثقلها في طباعة ونشر معظم المنشورات التي كانت توزع سراً من قبل بعض العناصر الوطنية التي شاركت بالنضال والكفاح ضد الاستعمار، وكان القصد منها نشر الوعي وتحريض المواطنين على تبني الكفاح المسلح ضد الاستعمار من أجل نيل الاستقلال التام للوطن اليمني الذي لا يمكنه العيش تحت ربقة الاستعمار أو البقاء تحت وطأة جبروته وطغيانه، وهو الشعب الذي ما عرف الخنوع أبداً.

هذا الدور الذي لعبهُ المغتربون لم يكن ليقل أهمية عن الدور الذي لعبَهُ الطلاب اليمنيون ممن درسوا في الخارج آنذاك وشاهدوا ما وصلَتْ اليه تلك الدول من تقدم وتطور في كافة المجالات، فضلاً عن تأثرهم بموجة المد القومي العربي الذي تبنى التحرر من كافة الأنظمة الرجعية والاستعمار الأجنبي على السواء، وهو ما كان له كبير الأثر في نفوس أولئك الطلاب اليمنيين؛ وخاصة الذين كانوا في القاهرة وبغداد وبيروت ودمشق، فقد عادوا يحملون أفكاراً نيِّرة ورؤى تقدمية مشحونة بطاقات الشباب المتوهجة؛ فعملوا بكل ما أوتوا من جهود وقوة على إشعال فتيل الثورة من خلال انخراطهم في أوساط المجتمع وتوعيته بما وصلَ إليه الآخرون الذين انقضوا على المستبدين وتحرروا من المستعمرين.. فكانوا بذلك بمثابة عود الثقاب الذي أشعل الفتيل الذي كان جاهزاً ولم يكن ينتظر سوى ذلك الثقاب لينفجر بعد ذلك قوياً مدوياً تخرسُ أصواتُهُ ألسنة المستبدين وتصمُّ آذانَ المستعمرين الذين فوجئوا بذلك الصوت القوي المزمجر الهادر الذي دَكَّ حصونَ الرجعيةَ ومزَّقَ شباك المحتل وخَلَقَ وأوجدَ على أنقاضهما يمناً حديثاً يستمد شرعيته وحريته من ماض حضاري عريق وإرث تاريخي يضربُ بجذورهِ في أعماقِ الحضاراتِ الإنسانية التي لعبت دوراً فاعلاً وبارزاً في معظم المدنيات السابقة والتي امتدت ظلالها الى المدنية الحديثة.

سلطنات ومشيخات

* وإذا كانت حرب الثورة السبتمبرية قد امتدت لأكثر من سبع سنوات بسبب تدخل القوى الخارجية الرجعية ممن رأت في النظام الجمهوري خطراً عليها وخشيت من تدفق المد الثوري إلى أراضيها؛ فضلاً عن بعض الحسابات الأخرى لقوىً عظمى؛ فإنَّ حرب الثورة الأكتوبرية قد امتدت زهاء الست سنوات بسبب السياسة التي انتهجتها بريطانيا طيلة الحقبة السابقة للثورة منذ 1839م حيث عملت على نشر الفرقة بين أبناء اليمن وأوجدتْ في كل مكان ومنطقة مشيخة أو سلطنة تقوم بمساعدتها في قمع الثائرين مقابل الامتيازات الكاذبة التي كانت تخدع بها أولئك السلاطين والمشايخ ممن ارتضوا بالدونية وآثروا السلام على النضال والحرية، وهو ما تبدَّى واضحاً بكثرة المشيخات والسلطنات التي ظهرت في ظل الاستعمار البريطاني والتي أوجدَ بعضها المحتل من العدم وحاولَ أنْ يصبغَ عليها الشرعية بإبرام المعاهدات معها والاعتراف الرسمي بزعمائها، الأمر الذي كان يندرج تحت مُسمَّى السياسة البريطانية المعروفة التي أشرنا إليها آنفاً (فَرِّقْ تَسُدْ) وهو ما لم يكن له مردود إيجابي بالنسبة لبريطانيا في خاتمة المطاف؛ بل حدث العكس من ذلك إذْ ثار الشعبُ اليمني قاطبة بعد أنْ استاء من تلك السلطنات والمشيخات وكانت هي أحد الأسباب التي عجَّلتْ بالكفاح المسلح ودفعت المناضلين اليمنيين إلى الاستماتة في سبيل تحرير وطنهم من المحتل الغاصب وأذنابه من العملاء الذين ساعدوه على البقاء طويلاً على ثرى وطننا الطهور.

والأسلوب نفسه انتهجته بريطانيا تجاه الفصائل الثورية المناضلة التي تبنت الكفاح المسلح ضدها حيث سعت ومنذ بداية ثورة الرابع عشر من أكتوبر 1963م إلى الإيقاع بين تلك الفصائل التي كانت تنطوي في إطار الجبهة القومية أولاً لتوجد صراعاً فيما بينها وبين جبهة التحرير التي تكونت فيما بعد، الأمر الذي ولَّدَ صراعاً بين الجبهتين استغلته بريطانيا لصالحها ولقمع الثوار بعضهم بعضاً من خلال التجاوب مع إحدى الجبهتين وإبداء المرونة تجاه الثانية تارة أُخرى.

ورغم أنَّ العداء كان يستفحل بين الجبهتين بين الفينة والأخرى وكان له مردود سلبي على الحركة الوطنية برمتها وعلى زعاماتها الذين قُتل البعضُ منهم والبعض الآخر شردوا إلى صنعاء والقاهرة إلا أنَّ الحس الوطني لم ينعدم أبداً لدى الجميع وظلوا في خندق واحد في مواجهة المستعمر الذي اضطُرَّ بالأخير إلى الاعتراف باستقلال جنوب الوطن والرحيل عنه صاغراً ذليلاً بعد فترة طويلة اتسمت بالقسوة والوحشية من قِبَلِه تجاهَ اليمنيين الذين آلوا على أنفسهم أنْ لا تشغلهم خلافاتهم الداخلية عن طرد المستعمر وتقرير المصير.

ثورة استثنائية

* وعموماً يمكن أنْ نصف ثورة الرابع عشر من أكتوبر 1963م بالاستثنائية لأنَّها جاءتْ في وقت كانت فيه معظم القوى الوطنية اليمنية لا تزال مشغولة بالحرب مع فلول الإمامة والقوى الرجعية, ناهيك عن قلة العدة التي كانت لدى ثوار 14 أكتوبر مقارنة بما كان عليه وضع زملائهم ثوار 26سبتمبر، هذا بالإضافة إلى استماتة الاستعمار البريطاني بالتمسُّك بعدن وجنوب اليمن لما لها من أهمية في طرق الملاحة الدولية وتميز موقعها الاستراتجي بعد أن خسرَ معظم مستعمراته في شرق آسيا وفي إفريقيا وباقي دول العالم، والتي تهاوت الواحدة تلو الأخرى منذ منتصف القرن العشرين، مما كان له كبير الأثر في تشجيع الثوار والمناضلين اليمنيين إلى الانقضاض ببسالة على الاحتلال البريطاني والدفاع عن حريتهم واستقلالهم باستماتة. وقد حفزهم وشجعهم على ذلك بالمقابل الهزيمة الكبير التي تجرعها المستعمر البريطاني الغاصب في حرب السويس على مصر عام 1956م والتي ألحقتْ أضراراً بالغة بالشعب المصري.

إلا أنَّه في الأخير خَرَجَ منتصراً حين دَحَرَ المستعمرين الغاصبين إلى الأبد وأَمَمَ قناة السويس التي كانت بريطانيا تعوِّل عليها الشيء الكثير، وبسقوط ((قناة السويس)) حاولت بريطانيا أنْ تُكثِّف من هجماتها الشرسة ضد ثوار أكتوبر حتى يتراجعوا عن محاولات التحرر والاستقلال، محاولةً بذلك تعويض نفسها عما فقدته في السويس والمستعمرات التي سبقَ وأنْ تحررت من ربقتها.

وهذا ما جعلَ موقف أحرار ومناضلي ومقاتلي الثورة الأكتوبرية يعيشون ظروفاً قاسية جعلت من الثورة الأكتوبرية ثورة استثنائية بكل المقاييس وميزتها عن كثير من الثورات الأخرى التي كانت أكثر حظاً منها من ناحية الظروف المواتية والمحيطة والدعم اللازم والعتاد والعدة.

ولهذا ستظل ثورة الرابع عشر من أكتوبر 1963م حدثاً بحجم الوطن ونقطة تحول بارزة في مسار النضال الوطني الكبير الذي قادَهُ الشرفاءُ والمناضلون من أبناء الشعب اليمني لا طمعاً في سلطة أو جاه أو مال وإنما انتصاراً لحرية الوطن ورفعته وإبائه.

• تدخل القوى الخارجية أخّرَ إعلان الوحدة عقب يوم الجلاء
• لماذا استماتت بريطانيا في الدفاع عن عدن بعد سقوط قناة السويس؟!

المراجع:
-1الندوة الوطنية التوثيقية للثورة اليمنية 14 أكتوبر- مركز الدراسات والبحوث اليمني.
-2اليمن ..الثورتان..الجمهوريتان..الوحدة- فيصل جلول دار الجديد بيروت 1998م.
-3التاريخ العسكري لليمن- سلطان ناجي دائرة التوجية المعنوي صنعاء.
-4حركة المعارضة اليمنية - أحمد قائد الصايدي- مركز الدراسات والبحوث اليمني.
-5ثورة 26 سبتمبر دراسات وشهادات "ج-1ج-2ج3" مركز الدراسات والبحوث اليمني.
-6مجلة دراسات يمنية - أعداد متفرقة - مركز الدراسات والبحوث اليمني.
-7 مقابلة خاصة مع المناضل حسين شرف الكبسي- صحيفة الثورة.
-8 صوت من الريف- أحمد عمر مكرش- اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين.